

الفن العراقي المعاصر في بيروت

عما نرى وعما نحس به في عصرنا الجديد . وكان من المختتم الا نخرب الا وقد جعل الاسلوب الاوروبي من تعبرنا شيئاً ربما راه مجتمعنا غرباً واحياناً غير مفهوم ، واذا تذوقه فلربما لغير ما يقصد الفنان اليه . ولئن كان الفنانون عندنا الان سريعين في تمثيل ما يلقنه الغرب ، فإن المجتمع الذي يقرر مصير الفنان عاجلاً او آجلاً ما زال بطريقنا في تقاربها من الفنان وما زال اميل الى أن يطلب من الرسام او النحات ما لا يعدهانه مما فنا .

بالرغم من ذلك نرى في حركة الفن العراقي الحديث فورة يتمتع بها كل من يساهم فيها ، لأن المجال فسيح والارض بكر ، وكل فكرة جديدة لها من تشيره وتلهمه في النتش او الابداع . ولذا نرى في الرسم العراقي اتجاهات كثيرة تدل على غنى وتنوع في جوانب التفكير ، قد لا



في القهوة - لساماعيل الشيخلي

اقيم في قاعة الاونسكو بيروت هذا الشهر معرض للفن العراقي المعاصر تحت رعاية وزارة معارف الحكومة العراقية لأول مرة في بلد عربي ، وقد اشرف عليه مديرية العلاقات الثقافية في وزارة المعارف ، وانتدب الاستاذين فائق حسن رئيس قسم الرسم ، وجادل سليم رئيس قسم النحت والفالخار في معهد الفنون الجميلة في بغداد لorganisation المعرض . ويحتوي المعرض ٩٥ صورة و ٦ قطعة نحت و ١١ مجموعة من نتاج طلبة معهد الفنون الجميلة ومجموعة من الفنانون القرويون و ٣٦ صورة فوتوغرافية . وقد اشترك في المعرض ٢٩ رساماً و ٥ نحاتين .

وقد رأت «الاداب» بهذه المناسبة ان تنشر الى جانب الرسوم التي عرضت في هذا المعرض دراسة هامة للاديب العراقي المعروف الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا (وهو رسام بارع ايضاً) بعنوان «الفن الحديث في العراق » :

في مقبرة في السليمانية ، في اوائل هذا القرن ، كان ضابط يدعى عثمان يرسم النساء اللاتي جئن لزيارة موتها ، وقد احاطت بهن خضراء الربيع وزهوره . وقد اثار مشهده وهو يرسم من الفضول والعجب ما جعل ذكره باقياً حتىاليوم ، وان لم يبق لنا شيء مما رسم .
امااليوم ، بعد مضي زهاء خمسين سنة على عثمان بك ، فقد راح الفنانون العراقيون يصوروون لا خضراء الربيع وزهوره فحسب ، بل كل ما يمع به بلد جعل يتحسس قواه من جديد . وهم سواء اعبروا عما يرون به بأعينهم ام يشعرون به بحدسهم ، انما يمثلون ناحية مهمة من نواحي النهضة العربية الحديثة ، ويساركون في التجربة الفنية التي تعطي فترتنا الزمنية طابعاً وشخصية .

وتاريخ هذه الحركة يعود الى اكثر من عشرين او خمس وعشرين سنة، بل انها لم تتبادر الا منذ اوائل الحرب العالمية الثانية . فهي اذن بعد في اولها ، وروادها الذين بدأوا بحماس العاشق واستمرروا دون تراجع ، ما زالوا في عنفوانهم يرسمون وينظرون ، ويشرون على تخریج العشرات من الفنانين الشباب . والكثير من هؤلاء الشباب ينافسون في الحال اساتذتهم ، ويتذکرون اساليبهم ، في مجال آخر في الاتساع ، حتى جعلنا نتسائل ، ترى هل نرى عن قريب ما يمكننا ان نسميه «مدرسة بغداد» في الرسم والنحت ؟

ركدت المخيلة لسبعين سنة ، ثم تململت وتحركت ، وكان علينا ان نستورد اسلوباً من الغرب تمنع بأكثر من الفي سنة من النمو المستمر ، لنضعه في خدمة مخيلتنا المستيقظة من جديد . وقد استوردننا هذا الاسلوب جملة ، وبسرعة ، وكان لا بد لنا من ذلك . للرسم في اوربا تاريخ طويل من معتقدات ، واقتصاديات ، ونظريات تظهر اضداداً في فترات الرسم المتعاقبة ، كل منها رد فعل لسابقتها . لقد اخذنا هذا الاسلوب ، بما ينطوي عليه من تقاليد طويلة ، وجعلنا منه عدة نعمان بها



ليلة الحنة - لجود سليم

حكمه . وهو حيئنـلـن يخـشـى التـصـمـيمـاتـ التي تـفـرقـ بـيـنـ الـاسـالـيـبـ الكـثـيرـةـ المـخـتـلـفـةـ ، كالـسـرـيـالـيـةـ اوـ التـعـبـيرـيـةـ اوـ التـجـريـدـيـةـ ، بلـ قـدـ يـجـدـ اـنـهـ تـرـيـدـ مـنـ مـعـتـهـ بـالـعـمـلـ الفـنـيـ .

*
في اطباق وأوان موصلية صنعت في القرن الثالث عشر للميلاد صور منقوشة مطعمة تمثاز عن غيرها بقوة تعبيرها .

ومن قبلها توخي الواسطي ايضا القوة في الاداء في رسومه . وكان للفن العراقي السوري قبل ذلك اثر عميق في الفن البيزنطي حين اكتسب هذا الفن من العراق وسوريا تلك القوة التعبيرية الناتجة عن التشويه لابرا زالمهم واهمال البقية .

وهذه القوة التي يستخرجها الفنان من التشويه والبالغة المقصودين هي احدى صفات الفن الحديث ، ونراها في رسومنا هنا من جديد . لعل رسامينا يعودون اليوم الى المصادر التقديمة لهذا الاتجاه المعاصر ، للاتصال عبر القرون الراكرة بفن قوتة على فحولة وحساسته مفرطة تجاه الاشكال والاجسام . ولعلهم يجدون في مكتشفات الحضرة ، والمنحوتات الاشورية والبابلية والسمورية تلك القوة نفسها التي يبدوا ان فننا يتوخاها منذ القدم . قد تكون الواضحة دينية او سياسية ، قد تملوها رموز من الافاعي والشمور والاسود ، او قد لا تعنى الا بالعقل المقتول والثوب الموج حول الجسم . ولكنها اذ تتطلع الى الجمال او اثاره العجب او الالقاء في الواقع ، لا تغفل ابدا عن التعبير بقوة مباشرة .

يكون كلها جديدا على من يطبع على الفن الغربي ، ولكن لم القلق ، وهذه نجوهنا ونفوسنا ، واقعنا وأحلامنا ، نراها لأول وهلة متذوقون طويلة في رسوم من كل لون وجنم ؟ علينا دائما ان نتذكر ان ما هذه الا البداية ، واننا في اول الاستقصاء والتجربة .

الطبيعة ، الحقيقة ، الواقع

هذه كلمات ترد كثيرا في النقد الادبي ، او الفني . وهي تتعدد وتثير الخلاف ، لأنها امور لا يمكن تحديدها ، لحسن الحظ ، وان يحاول البعض ارهاقها بالتحديد ومطالبة المبدع بالخصوص له . لن يكون تذوقنا صحيحا الا اذا ادركنا ان للحقيقة الف وجه وجه ولا يمكن للواحد الا الاحاطة ببعضها ، وان « الواقع » ليس الوجه الظاهر او الحركة الظاهرة فقط ، بل هو الاف من خفايا الارتباطات والدوافع والاحاسيس يهمنا استقصاؤها ، وان الطبيعة التي هي خارجنا ، يتوقف ادراكنا لها على رؤيتها نحن لها ، نحن الذين نتفاوت نظرا وحساسية ورد فعل .

فالطبيعة والحقيقة والواقع ما هي الا مواد خام هائلة يصنع منها الفنان شيئا ، وهو متمنع بحرفيته ، ليعبر لنا في النهاية عن بعض ادراكه هو للحياة . وفي الوقت نفسه لا بد في هذا الصنع من مهارة بينة في استخدام ادواته واصباغه ، ولا بد له من حدق في ترتيب اجزاء عمله . فالقضية في كل عمل فني ، اذن ، مثلثة الجوانب ، على الاقل ، ولانا ان نسمي هذه الجوانب : الادراك والصنعة ، والتأليف . على المتذوق ان يعي كل من هذه الجوانب اهتمامه قبل ان يصدر

وجملة القول ، اشتد وعي الناس بالحركة الفنية ، واشتد النقاش حول الصور والاساليب الحديثة . غير ان النقد الفني كان متخلقاً عن الانتاج الفني نفسه ، فكان في الصحف المحلية قليلاً ، وضعيفاً ، ومستوحى أحياناً من اغراض لا تمت الى الابداع بصلة .

كان رسامو العهد الماضي في هذا البلد – وهم على كل حال قلة ثانية يعترز بها تاريخ الفن العراقي الحديث – يستخدمون فرشاً دقيقاً ، ويمزجون الصبغ بكثير من زيت القطن او التريتين ، ليستحصلوا رسمياً على الصفحة ، دقيق التفاصيل ، اجزاءه في الغالب اهم من مجموعها كصورة واحدة . وكان منهم نفر يعتمد في رسومه على النقل من رسوم تخرجها اخراجاً غير متقن بعض المجلات المصرية ، او من صور « الكرت بوستال » ، واكثرها مناظر اوروبية تذكر فيها اشجار الصنوبر والجداروا الرفراقة تقرر فوقها الغزلان ، ووراءها بيوت سطوحها من قرميد احمر ، وفي المؤخرة يلتقط اللبلج في جبال تلمع من بين الضباب . فكان الرسم يقرن بكل ما هو بعيد مكاناً او زماناً ، وكان هذا البعيد يدعى ، خطأ ، خيالاً ، في عودة الرسامين الى المواقع التي يرونها بأعينهم ، وفي تعبيرهم عن عواطفهم ازاء هذه المواقع ، بدأت الحركة الفنية تجمع قواها . واقدمهم المرحوم عبد القادر الرسام الذي قضى عمراً طويلاً في الرسم حتى لقي بالرسام . ثم ظهر المحدثون .

كأنوا شباباً هواة اول الامر – اكرم شكري ، عطا صبري ، حافظ الدروبي . ولما لم تكن نشأتهم في بيئه تعنى بالفن ، فقد ظهرت مواهيبهم كما تتفق الحاجة الفريزية ، وكان لا بد لهم من الرسم . وقد ارسلوا كلهم الى اوروبا ، في فترات مختلفة . وكان اكرم شكري اول من ذهب الى انكلترا في بعثة حكومية للرسم ، عام ١٩٣١ .

وقد اتيح لكرم شكري منذ مدة ان يعود الى اوروبا ثانية ، ويدرب منها الى المكسيك ، حيث الحركة الفنية صخابة رائعة . فعاد الى بغداد



الفجرية

لخالد الجارد

هذه القوة هي ما نأمل أن نراه في أعمال فنانينا اليوم . تقدمت الحركة الفنية الحديثة في العراق بسرعة عجيبة . ارسل بعض ذوي المواهب الى اوروبا للدراسة ابتداء من سنة ١٩٣١ . افتتح معهد الفنون الجميلة قسماً للرسم والنحت سنة ١٩٣٩ . أسست جمعية اصدقاء الفن سنة ١٩٤١ فضمت عدداً من الرسامين والهواة ، يسرت لهم عرض انتاجهم .

ارسلت بعثات فنية اخرى متزايدة . ازداد عدد الرسامين ، محترفين وهواة ، وجعلت معارضهم تدل على تكالبات تنافسية بأساليبها الفنية ، ولكنها تتباين في وفرة الانتاج وتحسينه .

ظهرت جماعة الروان ، او « اس ، بي » ، التي ارادت فناً اقرب الى البدائية في وضع الخطوط والالوان ، ملتفة حول فائق حسن . وظهرت جماعة بغداد للفن الحديث ، التي ارادت تصوير واقع الناس بشكل جديد ، ملتفة حول جواد سليم .

وظهرت جماعة الانطباعيين ، التي ارادت فناً مستقى من الطبيعة والهوا الطاقي ، ملتفة حول حافظ الدروبي .

ولكن لم يتقييد اي فرد من افراد الجماعات المختلفة بالغرض العام لجماعته ، لأن الهدف الاول كان دائماً الانتاج المستمر ، التجربة المستمرة والتطور .

وظهرت اخيراً جمعية الفنانين العراقيين . وأقيمت المعارض بكثرة متزايدة ، فكان بعضها لهواة الرسم في الكليات ، وبعضها للجماعات وبعضها لفناني فرادي . ومثل بعضها الفن العراقي بمجموعه (بغداد سنة ١٩٥٢ ، والمهدن سنة ١٩٥٥) .



عائلة بدوية

محمد صبري